الشريعة اليهودية

٣

البيوع ، الديون والحوالات ، المشاريع المالية ، دار الودائع ، عبارات في العهد الجديد تتعلق بهذا الشأن ، عبارات وردت في العهد الجديد تتعلق بالملك

البيوع — لم يعثر الباحثون في شريعة اليهود على شيء من سندات العقود نقف به على صورة تأليف العقد وجرياته عندهم لذلك لا نرى بدًّا للبحث فيها من الرجوع الى التوراة . فأقدم عقد جاء ذكره فيها هو العقد الذي اشترى به ابراهيم عليه السلام الحقل والمغارة ليدفن امرأته سارة فيهما وقد جاء ذكره في الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين واليك اياه ملخصاً : طلب ابراهيم الى الحثيين ان يبيعوه الحقل والمغارة وبعد ان وافقت رجال القبيلة على بيعهما منه استأمنها من صاحبيها عفرون بن صوحر اعلم من اجتمع من رجال القبيلة عند باب المدينة فنزل له عنه بار بعانة شاقل من نقده اداها اليه في حضور القوم .

ثم جاء الاصحاح الثالث والثلاثين من هذا السفر ايضاً « ابتاع يعقوب قطعة حقل من بني حمور ابي شكيم بمائة قسيطة . واقام هناك مذبحاً ودعاه إيل آله اسرائيل » ولا يوجد الثمن فقد دائماً .

وقد جاء في كتاب راعوث ذكر نوع آخر من البيع بيع ما يعود للاسرة من الاملاك كما يلي « كانت امرأة تدعى نعمى فقدت زوجها المسمى اليملك وابنيها

محلون وكليون فطلبت راعوث كنة نعمي من بوعز — قريب البالك — ان يقوم لها بحق الولي فقال لها صحيح اني ولي ولكن يوجد ولي اقرب مني ان قضى لك حق الولي حسناً ، وان لم يشأ ان يقضي لك حق الولي فانا اقضي لك ثم صعد بوعز الى الباب وجلس هناك واذا بالولي الذي تكلم عنه بوعز ماثر فقال مل واجلس هنا ثم اخذ عشرة رجال من شيوخ المدينة واجلسهم وقال للولي ان نعمي تبيع قطعة الحقل التي لاخينا البالك ويوم تشتري الحقل من يد نعمي تشتري ايضاً من يد راعوث المؤآبية امرأة الميت لتقيم اسم الميت على ميراثه فقال الولي لا اقدر ان افك لنفسي لئلا افسد ميراثي ففك انت لنفسك فكاكي . وهذه هي العادة سابقاً في اسرائيل في امر الفكاك والمبادلة لاجل اثبات كل امر . يخلع الرجل نعله ويعطيه لصاحبه . فهذه هي العادة في اسرائيل فقال الولي الى بوعز اشتر لنفسك وخلع نعله . فقال بوعز للشيوخ ولجميع الشعب انتم شهود واليوم اني قد اشتريت كل ما لالبالك وكل ما لكليون ومحلون من يد نعمي . وكذا راعوث المؤآبية امرأة محلون قد اشتريتها لي امرأة لاقيم اسم الميت على ميراثه ولا ينقرض اسم الميت من بين اخوته ومن باب مكانه انتم شهود اليوم . فقال جميع الشعب الذين في الباب والشيوخ نحن شهود » .

وجاء في الاصحاح الثاني والثلاثين من كتاب ارميا النبي انه اشتري في حادث كهذا ماعدا مسألة الزواج بزرعة قال ارميا : جاء الي حنمئيل ابن عمي حسب كلمة الرب الى دار السجن وقال له اشتر حقلي الذي في عناثوث الذي في ارض بنيامين لان لك حق الارث ولك الفكاك . اشتره لنفسك فعرفت انها كلمة الرب . فاشتريت من حنمئيل ابن عمي الحقل الذي في عناثوث ووزنت له سبعة عشر شاقلا من الفضة . وكتبته في صك وختمت واشهدت شهوداً ووزنت الفضة بميزان واخذت صك الشراء المختوم حسب الوصية والفريضة والمفتوح . وسلمت لباروخ بن نيريا ابن محسيا امام حنمئيل ابن عمي وامام الشهود الذين امضوا صك الشراء امام كل اليهود

الطالبين في دار السجن . واوصيت بارخ امليهم قائلاً هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل . خذ هذين الصكين صك الشراء هذا المختوم وهذا الصك المفتوح هذا واجعلهما في اناء من خزف لكي يبقيا ايامًا كثيرة »

لم يتوفق شراح هذه العبارة الى توضيحها تمامًا ، ويستدعي البحث فيها اولاً النظر الى الطريقة المتبعة في تنظيم السندات واستشهاد الشهود في ذلك الدور فقد كانت السندات تنظم بين الطرفين وتكتب على درق البابيروس او على رق ، يوقعها الطرفان على الجهة المتأخرة المكتوبة بعد تمامها وعليها على هذه الجهة ومن ثم يوقعها الشهود في الفراغ الباقي من الجهة التي وقع عليها المتعاقدان . وعلى هذا لا تطلع الشهود على مضمون شروط العقد وانما تقع شهادتهم على شخصية الطرفين وهويتهما ووضعهما التوقيع وهذا السند لا يقع في زماننا من توقيع كاتب العدل والشهود على الغلاف الذي داخله وصية سرية وهم غير عارفين بمضمونها (١)

الديون والحوالات — لا يقتصر التشابه في العادات الشرقية على صكوك البيع فالصكوك التي تسمى عندنا « الصكوك والحوالات التجارية » تشابه ايضاً وقد تداول اليهود الحوالات التي من هذا القبيل كثيراً وشاع استعمالها بينهم ولما كان مطالبة المديون والمدين بمقتضى هذا النوع من الحوالات لا يمكن الا عند اعادة السند اليه فكان المديون لا يؤدي الدين الا الى حامل السند اولاً (٢)

---

(١) الخلاف في العلامة الموسيو هيلزنج هذه الجهة حقها من البحث في تعليقه على سفر ارميا . وكانت هذه العادة جارية عند الرومانيين ويسمون هذه الورقة المشية (ديبلوما) وقد بحث فيها في احكام (بارلوس) .

(٢) قد عثر على بعض الصكوك المكتوبة باللغة اليونانية اشترط فيها صراحة العادية حاملها . وعثر اخيراً في جزيرة (آمورغوس) احدى جزائر ارخبيل سيقلاد على صك الشروط هذه العادية (للدائن والآمر) هذا وبما انه لم يثبتا انهم اعتدوا —

هذه وقد كان اليهود تحت الحكم الفارسي أحرار الفارسة في جميع الوجوه وطرق المعايشة وأبوابها ولم يكن ذلك التمتع العظيم الذي لجماعتهم بعد حرب السامرة والقدس يستطيع أن يمحو منهم تلك الذكرى التي راعتهم منذ نشأتهم الأولى في عهد الملكين .

وقد كان لليهود بذلك الشتات في أقطار الأرض المختلفة مدعاة إلى ظهور استعدادهم لأجل مظاهرهم الشهيرة بعد من الأمم وإن الكثيرين منهم قد عهدت إليهم حكومات تلك الأيام بأدارة شؤونها المالية فقد كان يوسف بن يعقوبة عند فرعون مصر وكذلك كان دانيال عند نبوخذ نصر ونحميا عند الملك ارتحشستا في بلاد فارس الشهير مردخاي وأخيه أستير زوج ملوك أحشويروش وتولى سبعة رجال من اليهود في القسطنطينية وظائف رفيعة في دولة الرومان وتولى سبعة رجال من اليهود في بلاد العرب في صورة أدباء الدين في ذلك العصر والبلاد أيام .

كان النبي محمد بن علي طالب تولى أنه أن يذهب إلى خيبر لإعادة السلم وتسوية الخلاف بينه وبين اليهود لا بحرص أي دليل أقدمه له فقال لأبيه أعلم كيف تعامل بلاده وتوجه أبو بعوث المال . فذهب ابن تولى بكتبه في ذلك الشرق فخرج على رأس جيوشه فلاقاه وعلى عنده فأضطر تولى أن يرسل أحد أبنائه إلى بلاد رأس الإسلام السلم فذهب الرسول وأعاد السلم وأعاده إلى خيبر وأخذ منه الدين .

وقد أصبحت القدس بعد رحيل اليهود عن أسبي تولى أعظم جامعة يؤمها الدارسون من الأمم الراقية .

وفي هذه الحقبة أصبحت الواصلات بين القدس وغيرها من البلاد التي يقطنها

— إلى مناسبة الأمر على الصلح الأول بطريق الحدود فلا بد أنه كان يتبع حينئذ الأمر بوكالة .

اليهود واصبحت زيارتها سهلة على الزائرين والرواد .

المشاريع المالية — لقد لعب متمولو اليهود دوراً هاماً في التاريخ وزاولوا اموراً عظيمة ومن ذلك ما كان يستقرض منهم من القروض المالية الطائلة لمشاريع هامة كاصطناع الاحزاب واستمالة اهل القوة والنفوذ في البلاد وكثيراً ما استقرض منهم الولاة المعزولين في روما القروض الكبيرة للاستعانة بها على استرداد عملهم ونفوذهم في البلاط الروماني وفيما يلي حكاية ذاتي بها كمثال لما كان يستقرض منهم من المبالغ الطائلة وهي : عن حادث وقع مع « تتراوك آغريبا » في زمن « تيبر » وتحريره انه لزم آغريبا ثلاثة الآف دراخمي ديناً لخزانة الحكومة ولما لم يكن في وسعه اداؤها عند حلول الاجل عقد مع بطليموس قرضاً على الفين دراخمي نظير سبعة عشر الفاً وخمسماية دينار من روما :

ولما بلغ الاسكندرية ارشده والده فيلوف يسمى «فيلون» الى مثير يهودي اسمه « الايارق الكساندر » فطلب منه ان يقرضه مائتي الف دراخمي ليعود بها الى روما فامتنع الكساندر في بادئ الامر عن اعطائه ذلك ولكن اخيراً دفع له بكفالة امرأته خمس وزنات وتعهد بأداء الباقي وهو (١٧٠٠٠٠) دراخمي في اوزول غير ان اغريبا لما نزل (بوزول) لم يطالب الكساندر بالباقي واستدان ثلاثة الآف دراخمي من والد غايوس الذي تولى الامبراطورية بعد كليغولا واستقرض ايضاً من احد موالي (يوليوس قيصر) اسمه ثاوس مليون دراخمي .

ويروي المؤرخ يوسيفوس ان اغريبا كان صديقاً لغايوس وان اغايوس لما تولى الامبراطورية اعاده الى عمله واعطى مايليه من الديون وهي تما تدل على ان الكساندر قد استوفى ما دفعه الى اغريبا .

دار الودائع — كان في القدس كما في بلاد اليونان وسائر بلاد الشرق دار لحفظ صكوك الديون والعقود . على ان هذه الدار لم تكن داراً لحفظ هذه الودائع

فقط بل كانت كورصة للتجارة تباع فيها صكوك الدين وتشترى وفيها يجد التراجم في الاستدانة بطير رهن من يقرضه المبلغ الذي يريده لاي مدة يريد. ويقول يوسفيوس ايضاً ان هذه الدار قد احترقت اثناء ثورة اليهود الكبرى وقد حرقها الرومان وقد دعى ذلك الاغنياء الذين خسروا بالحريق مالهم من الديون الى التعلق الشديد بالحكومة الرومانية ورغبتهم في عودتها الى الحكم في ربوعهم

عبارات في العهد الجديد تتعلق بهذا الشأن — لا شك ان مقارنة روايات المؤرخ يوسفيوس مع ما جاء من العبارات التي تتعلق بهذا في العهد الجديد لا تخلو من فائدة. وقد بحثت هذه العبارات في الصيارفة (١) والصكوك التي يجددها الوكلاء الخائنين (٢) وتحصيل الديون (٣) وحبس المدينين لاجل الدين (٤). وقد جاء في الاصحاح الثاني من سفر (رسالة بولس الرسول الى اهالي كولوسي) اذا عنا الصك

---

(١) جاء في الاصحاح التاسع عشر من سفر لوقا « واياداً تسع فتني على مائدة الصيارفة فكنت حتى جئت استوفيها مع ربا »

(٢) وجاء في الاصحاح السادس عشر من هذا السفر ايضاً « كان انسان غني وكيل ولما اراد عزله من الوكالة دعى الوكيل اليه مديون سيده وقال للاول كم عليك لسيدي فقال له مئة جرة زيت فقال له خذ صكك واجلس عاجلاً واكتب خمسين ثم قال للآخر وانت كم عليك فقال مئة كر قمح فقال له خذ صكك واكتب ثمانين »

(٣) وجاء في الاصحاح الثامن عشر من سفر متى « لذلك يشبه ملكوت السموات انساناً ملكاً اراد ان يحاسب عبيده . فلما ابتدأ في المحاسبة قدم اليه واحد مديون بعشرة الآف وزنة . واذ لم يكن له ما يوفي امر سيده ان يباع هو وامرأته والاده وكل ماله ويوفي الدين . . . الخ .

(٤) وجاء في الاصحاح الخامس من سفر متى « كن مراضياً لخصمك سريعاً

الذي علينا في الشرائع التي كانت ضداً لها فارتفعت من الوسط مسموراً إياه بالصليب

عبارات وردت في العهد الجديد تتعلق بالملك — ورد في العهد الجديد مسألتان تتعلق بالملك الأول في الاصحاح الخامس من سفر أعمال الرسل هكذا: «أما رجل اسمه حنانيا وامرأته سفيرة باع ملكاً واختلس من الثمن وامرأته أيضاً عالمة بذلك وأتى بجزء وضعه عند أرجل الرسل فقال الرب لماذا ملأ الشيطان قلبك أن تكذب الروح القدس واختلست من ثمن الحقل أليس وهو باقٍ كان يبقى لك وبعد ما بيع كان في سلطانك لماذا وضعت في قلبك هذا الأمر لم تكذب على الناس بل على الله فلما سمع حنانيا الكلام خر ومات» الخ.

والثانية التي تتعلق بالملك في هذه العبارة دخول سفيرة امرأة حنانيا وذلك لأنه كما يقرر من حق المرأة في الملك المملوك لها من زوجها كمهر أو نحو ذلك نحو ما يقرر لها في ذلك المملوك لها من أبيها أو أخيها أو نحو ذلك.

والثانية المتعلقة بالاصحاح الخامس عشر من سفر لوقا العبارة الرمزية حيث يقول: «كان إنسان عنده ابنان فقال أصغرهما لأبيه يا أبي اعطني القسم الذي يصيبني من المال فقسم له معيشته وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن الأصغر كل شيء وسافر إلى كورة بعيدة».

لا يمكن أن نقرر في هذه المسألة بشيء يقرر لنا لها ما كان جارياً به الأمر الإنساني من الشرائع العالمة في الملك وصور الاصطلاح المشتركة بين الآباء والأولاد في أموالهم وأملاكهم ونحو ذلك.

وبما ينبغي أن يعلم أن كثيراً من هذه العبارات التي

ما ذكر في الخبر في ذلك. وقد ذهب الحنفية إلى أن الأب يستحق ما شاء من مال ولده في الحين الحق الأول فلا خروج من هذا حتى في الأمور الاضطرارية. وهذا أيضاً في الاصطلاح الذي من سفر لوقا حيث ذهب مع مصطلح الناس الحاكم لهذا الحين. وأما في الطريق الحقيقي عند الله فلا يقرر بمصطلح الناس الحاكم في هذا الحين بل بالحق الأول الذي لا خروج عنه في الأمور الاضطرارية.

الكرام دون ان يفكروا بما لها من قيمة كبيرة من الوجهة الحقوقية التي لا تقل عن قيمتها من حيث الاخلاق والاقتصاد . (تعريب الحقوق)

***

الاعتقاد الديني وتأثيره على الاخلاق

في نظر اناتول فرانس (١)

كيف السبيل الى الاعتقاد بان الافكار الدينية تصلح الاخلاق وهذا تاريخ الشعوب المسيحية نسبح من الحروب والمذابح والاضطهادات ؟ لا اخالك تطمع في ان يكون احدنا احسن تقوى من ابناء الاديرة . اذن فهذه طوائف الرهبان على اختلاف انواعها : السود والبيض والكبوشيين وهلمجرا ، سواء في انها ارتكبت ضروب الجرائم العظيمة . كان قضاة ديوان التفتيش وكهنة الفصية الكاثوليكية متورعين ، وكانوا ايضاً قساة الاكباد . ولست محدثاً عن البابوات الذين لطخوا العالم بدمهم حتى ليشك المرء في انهم كانوا يؤمنون بحياة اخرى . الحقيقة هي ان البشر حيوانات شريرة وانهم يطلون اشراراً اثناء افتكارهم بالصور من هذه الدنيا الى الاخرة .

---

(١) مختارة من كتاب (آراء اناتول فرانس) للاستاذ عمر فاخوري